

العربية الحديثة و التحدّي التكنولوجي

اعداد : حنفي بن عيسى

أستاذ مساعد مكلف بالدروس بمعهد

علم النفس و علوم التربية

بجامعة الجزائر

ان المؤلفين المحدثين يميزون تمييزا واضحا بين ثلاثة مستويات في الاتصال اللفظي (Communication verbale) بين الناس، وهي : الكلام parole، و اللغة langage، و اللسان langue. فهذه العبارات الثلاث تبدو متماثلة في المعنى، ولكنها في الواقع مختلفة بعض الشيء كما سوف نرى.

فالباحث اذا ما تصدى لدراسة أداة الاتصال اللفظي بين أبناء البشر، فاما أن يهتم بدراسة الكلام : وهو نوع من السلوك اللفظي الفردي، و يتجلى في كل ما يصدر عن الفرد من أقوال. و غالبا ما تنصرف عبارة ((الكلام)) للأقوال المنطوقة دون المكتوبة. و الباحث هنا يتساءل : هل يكثر صاحب هذا الكلام من المترادفات؟ هل يعيل الـ استعمال الأسماء و الأفعال أو النعوت؟ هل يتوخى الجمل الطويلة أو القصيرة؟ هل يكثر من الجمل المعترضة؟ و هل في الكلام اقحام لفكرة في فكرة أخرى، أم هناك دوران حول نفس الفكرة؟ و ما هي على العموم عاداته اللفظية؟... و الباحث اذا يفعل ذلك، انما ينظر الى العوامل المميزة لكل فرد، و يحاول أن يكشف الفروق الفردية في السلوك اللفظي.

أما اذا أنصرف الباحث الى دراسة اللغة، فسوف يراها كظاهرة أو مؤسسة اجتماعية، و سيحاول أن يهتدي لدى الأفراد الى السمات المشتركة في سلوكهم اللفظي موزا عن السمات الفارقة، لكي يتوصل بعد ذلك الى الحكم بأن ملاحظة هذه السمات لدى شعب من الشعوب، أو قوم من الأقوام، تبرر الحكم بأن لهم لغة مشتركة يتفاهمون بها. و لكن المقصود بالشعب أو القوم يختلف من حالة الى أخرى : فاما أن تكون العينة المدروسة منهم واسعة أو ضيقة. ففي الحالة الأولى، نقول مثلا ان اللغة العربية لغة الوطن العربي، من الخليج الى المحيط... و حينئذ نكون قد أخذنا بالاعتبار السمات المشتركة بين سكان هذه المنطقة الواسعة، و تغافلنا عن السمات الفارقة بينهم... و في الحالة الثانية قد نقتصر في الدراسة على قطر واحد من الوطن العربي، أو على رقعة محدودة ضمن القطر الواحد. و لا نزال على ذلك المنوال نضيّق الرقعة الى أن ينتهي بنا الأمر الى دراسة لغة قوم لا يزيد عددهم على بضع عشرات أو مئات من الأفراد : كلغة

الصحافيين أو الأطباء أو المحامين أو الحرفيين، أو النساء، أو الأطفال. وبهذا الاعتبار فالدارجة، أو العامية، أو ما يسمى اللهجة، إنما هي صور من اللغة في مستوياتها الدنيا. والدليل على ذلك أن القدامى كانوا يقولون: ((وفي هذه الكلمة لغات))، أي أن الناس يلهجون بهذه الكلمة بكيفيات مختلفة. فاللغة إذن، قد تكون لها ((وضعيات)) تختلف باختلاف الزمان والمكان، وباختلاف الطبقة الاجتماعية، أو المستوى الثقافي، أو الحرفة، أو السن، أو الجنس (من ذكر و أنثى)، الخ... وفي هذا المعنى يقول ابن خلدون: ((فلغة أهل الشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس)) (1) وقد أشار صاحب ((لسان العرب)) (ابن منظور) إلى أن اللغة تخص القوم، ولا تشمل الأمة بأكملها، إذ قال: ((أن اللغة، حدّها (أي تعريفها) أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. وهي فعلة من (لغوت) إذا تكلمت. أصلها لغوة)).

وهكذا نرى أن اللغة، من خصائصها التبدل والتغير، بحسب الأقاليم التي يتكلمون بها، لأن ((اللغو)) على حدّ تعبير ابن منظور: ((هو ما كان من الكلام غير معقود عليه)) أو ((ما لا يعتد به))، لتقلّبه من حال إلى حال.

أما اللسان، فهو النموذج الاجتماعي الذي تستقر عليه اللغة... بل هو صورة من السلوك اللغوي السوي بالنسبة إلى الأغلبية العظمى من أبناء الأمة الواحدة. ولشأن كانت اللغة مرتبطة بالقوم، كما رأينا، فاللسان مرتبط بالأمة، ولهذا سمي ابن منظور قاموسه: ((لسان العرب)) ولم يقل ((لغة العرب))... وذلك أن الفرد من أبناء الأمة، حينما يتكلم أو يكتب، فإنه ولا شك، ينحرف قليلا أو كثيرا عن اللسان، أي عن الشكل النموذجي من السلوك اللغوي، إلا أنه يحاول دائما - باستثناء الحالات المرضية - يحاول أن يقترب من ذلك الشكل النموذجي. وما من إنسان إلا وتجده يبذل ما في وسعه لكي تكون لغته أقرب إلى ((الفصحى)) والفصحى في الواقع هي ذلك الشكل النموذجي الذي يحاول كل فرد أن يحذو حذوه نطقا وكتابة.

ولكي تتضح وجوه الفرق بما بين الكلام واللغة واللسان، نقول بأن الإنسان كل أمة من أمم الأرض يشتمل على عدة لغات واللغة في حد ذاتها تتألف من كلام كل فرد. فاللسان العربي مثلا يتضمّن عددا من اللغات، وإن كانت هذه لا تختلف إلا من حيث فهناك لغة قريش، ولغة تميم، ولغة أهل الحجاز... واليوم نرى أن اللسان العربي له ((وضعيات)) بحسب الأقطار العربية، إذ نستطيع أن نميز بجملة من الخصائص، لغة أهل الشام عن لغة أهل مصر، ولغة أهل المغرب.

ولا يفهم من هذا أن ((لغات)) الوطن العربي أخذت تتباعد، لأنها، على العكس أخذت تتقارب بفضل الاتصالات والمبادلات، وعلى الأخص بفضل نشاط المجامع اللغوية القائمة بالتنسيق والتوحيد، حتى إن الفروق الطفيفة الملحوظة في اللهجات والمصطلحات

1 - ابن خلدون: ((المقدمة))، المطبعة الأزهرية، من ص 490 إلى 493.

بدأت تزول. و إنما قصدنا أن نقول ان ظروفنا تاريخية معينة تؤدي أحيانا الى ((واقع لغوي معين)) (2) وعلى هذا الأساس بدأت تصدر دراسات مفيدة في هذا الباب، نذكر من حملتها، كتاب الأستاذ سعيد الأفغاني : ((حاضر اللغة العربية في الشام))، وكذلك كتاب الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله : ((تطور الفكر و اللغة في المغرب الحديث)) .

و بناء على هذا كله ، فإن الكلام و اللغة ، كل منهما سابق للسان من حيث النشوء لأن اللسان لا يستقر الا بعد مضي أجيال. فاللسان يتأثر بالكلام و اللغة و يؤثر فيهما . فهو يتأثر بهما ، لأنه حسيلة كل ما يصدر عن الأفراد من أقوال ، و نتائج مجموع السلوكات اللغوية . و كما أن البحر يتلقى المياه من الأنهار ، و كما أن الأنهار تتلقى المياه من الروافد ، فكذا اللسان الحي يستمد رصيده اللغوي من الأفراد و الأقوام ... هذا من جهة و من جهة أخرى ، فإن اللسان يؤثر في الكلام و اللغة ، لأن المتكلم و الكاتب ، يحاول كل منهما أن يتقن أساليب التعبير ، و أن يجذو جذو الفصحاء و البلغاء ، حتى تصبح اللغة لديهما ملكة راسخة . و أداة طيعة للفكر . و هذا يمكن تلخيص ما قلناه بالصفتين الآتيتين :
اللغة = كلام الفرد 1 + كلام الفرد 2 + كلام الفرد 3 ، الخ .
اللسان = لغة القوم 1 + لغة القوم 2 + لغة القوم 3 ، الخ .

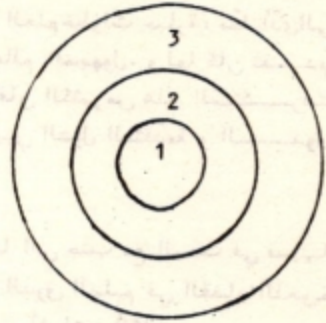
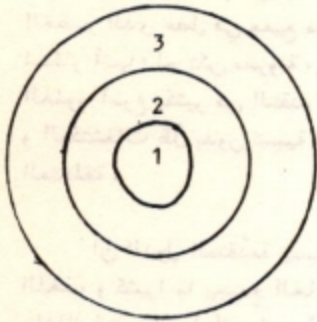
(2) أداة الاتصال : بين الثبوت و التغير و التطور

ان أداة الاتصال اللفظي يتنازعها عاملان ، أحدهما يقتضي بثبوتها على حالة واحدة و الآخر يقتضي بتغيرها . على أن هذا التنازع يؤدي - عن طريق التفاعل بين عوامل الثبوت و عوامل التغير - يؤدي الى التطور الذي هو سمة الله في خلقه ... و لئن كان الكلام (و هو سلوك فردي) عرضة للتغير (ولذلك يقال : لكل مقام مقال) ، فإن اللغة التي هي ظاهرة اجتماعية ، انما يعرض لها التطور . و لعل الفرق بين التغير و التطور هو أن الأول محسوس فورا ، في حين أن الثاني لا نكاد نشعر به ، لأنه مترئس و بطيء ... أما اللسان ، فهو الوضع الثابت المستقر لأداة الاتصال اللفظي . و بناء على هذا ، فأداة الاتصال اما أن أن تدرس في حالة تغيرها يوما بعد يوم ، أو في حالة تطورها على المدى البعيد ، أو في حالة استقرارها النسبي على مر العصور . و من الواضح أن أداة الاتصال ثابتة بالنسبة الى الجيل الواحد . و لو كانت متغيرة لما أمكن التفاهم بين أبناء الأمة الواحدة ، فالتطور ان يحصل ، انه يحصل بصورة بطيئة جدا و لا يكاد الناس من الجيل الواحد يشعرون به .

و يمكن القول بأن هذه المستويات الثلاثة من الاتصال (كلام ، لغة ، لسان) انما هي في الواقع حلقات تقابل كل منها مستوى من مستويات التنظيم البشري . فالبرامان ينظموا شؤونهم على مستوى الفرد ، أو على مستوى القوم ، أو على مستوى الأمة و بما أن التنظيم السياسي و الحضاري لا يمكن تحقيقه بدون أداة للاتصال ، فإن الفرد يتعامل مع أبناء جنسه بالكلام و هو أدنى المستويات و أكثرها تعرضا للتغير ... و تنظيم شؤون الحياة لدى القوم أو الشعب يحصل عن طريق اللغة التي يعرض لها التطور ... أما

1 - لنا في هذا الموضوع دراسة صدرت في العدد 4 ، سبتمبر 1971 من مجلة الثقافة ، الجزائر ، بعنوان : ((السلوك اللغوي في ظل التعسف)) .

التنظيم لدى المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة، أو الدولة الواحدة أو المجتمع الواحد، فيتم بواسطة اللسان، و هو أعلى المستويات، و أكثرها ثبوتا و استقرارا. و يمكن تمثيل ذلك بالشكلين (أ) و (ب).



الشكل (ب) : مستويات الاتصال اللفظي

الشكل (أ) : مستويات التنظيم البشري

- | | |
|---|------------|
| 1 - الفرد | 1 - الكلام |
| 2 - القوم أو الشعب | 2 - اللغة |
| 3 - المجتمع الواحد، أو الأمة الواحدة أو الدولة الواحدة. | 3 - اللسان |

كثيرا ما يقال : ان الأمة الواحدة هي التي كلمتها واحدة. و هو قول صحيح الاعتبار عليه، فالعرب، كمجتمع واحد، أو كأمة واحدة، لهم لسان واحد هو ((لسان العرب)) على حد تعبير ابن منظور... الا أنه مع ذلك لابد من ابداء الملاحظات التالية : أولا : ان وحدة الكلمة على مستوى الأمة، لا تتنافى مع تنوع الكلمة على مستوى الأقوام و الأفراد. فالاتصال اللفظي يتميز اذن، بالتنوع ضمن الوحدة و الاختلاف داخل الاتفاق، و التغيير و التطور في ظل الثبوت و الاستقرار.

ثانيا : ان التنظيم السياسي يكشف أحيانا عن شيء من التضارب بين مضامين بعض العبارات، كالأمة و الدولة. و لا شك أن الحالة المثالية هي التي يتطابق فيها مفهوم الأمة مع مفهوم الدولة، فيكون لذلك المجتمع من الناس لسان واحد، و مجتمع لغوي واحد لأن الأمة تنقسم أحيانا بحكم الظروف السياسية أو التاريخية الى عدة دول، فيظل لتلك الأمة، رغم ذلك التفرق، لسان واحد، كما هو الشأن بالنسبة الى الأمة العربية التي ليس لها من لسان سوى لسان الضاد، أينما اتجهت، من المحيط الى الخليج.

3 () مساهمة اللغة لركب الحضارة

ما من انسان يتعلم لغة من اللغات الأ و يدرك من الدروس الأولى بأن ذخيرة تلك اللغة من المفردات انما تعكس حضارة الشعب الذي يتكلم بها. فعلى قدر ما يستوعب من تلك المفردات، يزداد معرفة بتلك الحضارة و اطلاعا على آفاقها و ميادينها. كما أنه سيلاحظ من جهة أخرى بأنه، على قدر ما يزداد معرفة بتلك الحضارة يسهل عليه تعلم اللغة

و بعبارة أخرى، فإن تحصيل المفردات يوضح معالم الحضارة في ذهنه، كما أن الاطلاع على الجوانب الحضارية يسهل تعلم اللغة ... ما من شك إذن أن هناك تلازما قويا بين اللغة و الحضارة.

برزت العلاقة الوطيدة بينهما في القرنين التاسع عشر و العشرين، بسبب التقدم العظيم الذى حصل في جميع ميادين المعرفة . و قد خطا العلم خطوات جبارة، مما أدى الى ابتكار أشياء لم تكن معروفة، و اكتشاف أمور كانت في عالم المجهول. و لما كان تقدم العلوم أسرع بكثير من التقدم في حلّ القضايا اللغوية، فإن الكثير من هذه المبتكرات و المكتشفات ظلّ بدون تسمية. و هنا لا بدّ من أن نفرّق بين الدول المتقدمة و الدول المتخلفة.

ان الدول المتقدمة يسير فيها البحث العلمي جنباً الى جنب مع البحث في قضايا اللغة، و كثيراً ما يجتمع العالم بين التخصص العلمي و الذوق السليم في القضايا اللغوية و لذلك فهذه الدول لا تواجه أية صعوبة لتسمية ما يجدّ من أشياء و أفكار.

و أما الدول المتخلفة، فانها، بحكم قلّة مساهمتها في التقدم العلمي، تجد صعوبة كبرى في التعبير عن موجودات الحضارة و مفاهيمها، لأن التسمية تتطلب ادراك خصائص الشيء المراد تسميته. و كيف يتسنى ذلك اذا لم يكن لتلك الدول تسهم في الابتكار و الاكتشاف؟ ان النزعة الشيئية *le choseisme* على حدّ تعبير المرحوم مالك بن نسي (أي حرص الدول المتخلفة على كسب جميع ((أشياء)) الحضارة) لا يكفي وحده لكي يرقى الى صفّ الدول المنتجة، لأن استيراد الشيء لا يعرّفك به الا معرفة سطحية. و هكذا فالاجتهاد اللغوي، حتى مستوى المجامع اللغوية، يعاني أزمة خطيرة من حيث أنه اجتهاد من الدرجة الثانية: فهو اجتهاد لا لتسمية الأشياء بصورة مباشرة، و انما هو لايجاد الكلمة العربية المقابلة لنظرتها الأجنبية. و بهذا الاعتبار فالكلمة الأجنبية علامة لغوية *signe linguistique* تنوب عن الشيء و تغني عن احضاره، بينما الكلمة العربية تنوب عن الكلمة الأجنبية التي بدورها تنوب عن الشيء. و لهذا السبب فالمصطلح العربي يظلّ مجرد اشارة *Signal*، و لا يرقى الى مستوى العلامة التي بها يزول الغموض الملحوظ دائماً في لغة الاشارات. و يبدو لي أن حلّ هذه المشكلة اللغوية لا يتمّ عن طريق استيراد مصنوعات الحضارة فحسب، بل لا بدّ كذلك من استيراد الفكر الذي أنتجها، و استيعابه عن طريق التعريب المحكّم.

و هنا لا بدّ من الاشارة الى أن المؤتمرات التي تعقد حول نقل التكنولوجيا من المصنّعة الى الدول المتخلفة، قلما تناولت الجوانب اللغوية من هذا النقل، كما لو أن المسألة كلها محصورة في النقل المادي للأجهزة، و في اعداد التقنيين المكلفين بتشغيلها و لو أن جزءاً ضئيلاً مما يصرف في شرائها و جلبها و صيانتها، يصرف في الترجمة و التعريب لأمكن على المدى القريب أن تتخلص الدول المتخلفة من هذه التبعة التكنولوجية الخطرة و من أجل هذا يبدو لي أن الجهود المبذولة في انشاء المجامع اللغوية ينبغي أن تصحبها جهوداً أخرى في حركة الترجمة و التأليف.

ان الشعب الذى تسير فيه اللغة جنباً الى جنب مع الزحف الحضاري، هو شعب

قادر على تحقيق توازنه الثقافي. وعندما يقال : ان هذا الشعب أو ذاك يعاني أزمة ثقافية، فهذه الأزمة تشتمل دائما على جوانب لغوية . و ذلك أن الأمة المنكوبة فهي ثقافتها، هي الأمة المنكوبة في لغتها .

و من حسن الحظ أن لغة الضاد ردت على التحدي التكنولوجي أحسن الرد فاستجابت لنداء حافظ ابراهيم في بداية هذا القرن، حينما استنهض الهمم . فقال على لسانه :
سعت كتاب الله لفظا و غاية ■ و ما ضقت عن آي به وعظمت
كيف أضيّق اليوم من وصف آلة ■ و تنسيق أسماء لمخترعات؟

هناك اذن محاولات جادة لانطاق العربية بالمسميات الحديثة، و هناك و معي لغوي واسع النطاق، فريد في نوعه، لأن رائده : وحدة الصف في وحدة الكلمة . فليس في أمم الأرض من توفرها، في الاتساع في المكان، و الامتداد في الرقعة الجغرافية، مثلما توفر للعرب... هذا مع سهولة التفاهم بدون أية مشقة على مستوى الفصحى، بين البحراني و الجزائري أو المغربي .

و لا بد هنا من الإشارة الى أن ((الواضع الشعبي)) سبّاق الى التسمية اذ لا يكاد يظهر جديد في الحياة حتى يبادر العامة من الناس الى سبك ما يناسبه من اللفظ. و ذلك أن الحاجة الى تلك الألفاظ، بما أنّها حاجة ماسة، فإن عامة الناس لا يمكنهم أن ينتظروا ((الوضع الرسمي)) على يد المجامع اللغوية .

ان محاولة انطاق اللغة العربية بما هي مفكرة اليه من الأفكار و المعاني ليست عملية هيّنة، و قد تكلفت بها ثلّة من المجمعين و المؤلفين و المترجمين و الصحفيين و الأدباء، و لا تزال آثارهم تنقل إلينا ما تجود به قرائحهم من صيغ تعبّر عن موجودات الحضارة، مادية كانت أو معنوية . فبهؤلاء أنيطت مهمة النهوض بلغة الضاد. و يهتّم أن نستعرض في هذا المقام بعض المبادئ التي تعتمد عليها المجامع اللغوية في وضعها للمصطلحات العلمية و التقنية .

(4) المبادئ المعتمدة لوضع المصطلحات

ان ايجاد المصطلحات يستلزم أمرين : التغيير في مبنى الكلمة، و التغيير في معناها . و قد أسترعت هذه المشكلة اهتمام العديد من العلماء في الشطر الأول من هذا القرن، نذكر من بينهم جميل صليبا و الشيخ عبدالقادر المغربي و الأمير مصطفى شهابي، و ساطع الحصري و مصطفى جواد، و الكواكبي... فهؤلاء متفقون على أن العربية لها، من ناحية التغيير في المبنى، أي من ناحية الصرف morphology، ثلاثة أساليب لوضع المصطلحات التي تقتضيها الحياة العصرية، و هي : الاشتقاق و النحت و التعريب، أما من ناحية التغيير في المعنى، فلها أسلوب واحد يتمثل في المجاز اللغوي. و سوف نقتصر هنا على ذكر الاشتقاق، لانساق آفاقه و بعد مراميه .

التغير في المبنى عن طريق الاشتقاق :

أولا : الاشتقاق الكبير :

يقول المنتشرق ماسينيون (1941) : ((بما أن العربية لها 28 حرفا، وبما أن معظم الكلمات فيها مركبة من ثلاثة أحرف أصلية، وبما أنه توجد ست صور لترتيب تلك الأحرف أمّا في الأول أو في الحشو أو في الآخر)) و نسمي المقاليب الستة للكلمة الواحدة))، فانه توجد امكانيات كبرى لصياغة المفردات، وسببها تسبكا اصطلاحيا، بالاعتماد على الأصل المركب من ثلاثة أحرف. هذا، مع ضرورة تحاشي الحروف المتنافرة)) ان هذا الأمر الذي أشار اليه ماسينيون هو ما كان يسميه فقهاء اللغة بالاشتقاق الكبير .

و لكن هناك نوع آخر من الاشتقاق، فيه من المرونة و السهولة ما يفتح مجالا واسعا لوضع المصطلحات، و يتأتى ذلك من طريق حروف الزيادة (سألتونيها). ومن الأمثلة على ذلك أن الفعل الثلاثي ((جمع)) اشتق منه حوالي أربعين كلمة (جَمَعَ، جموع، جُمُعَة، جماعة، جماعي، جامع، جوامع، جامعة، جامعي، جميعا، أجمع، مجموع، مجاميع، مجمع، مجامع، مجمعي، أجمع، اجماع، اجماعي، مُجِيع (اسم فاعل)، مُجَمَّع عليه (اسم مفعول)، جامع وفعل)، جماع و مُجَامعة (مصدر)، جمع (بالميم المشددة)، جماعة و مجِيعَة و مجمّع (بالميم المشددة)، تجميع، تجمّع (فعل)، تجمع (مصدر)، اجتمع، اجتماع، اجتماعي، اجتماعية، اجتماعيات، مجتمع (بفتح الميم الثانية)، مجتمع (بكر الميم الثانية)، استجمع، استجماع.

و هنا لابد من ابداء بعض الملاحظات :

1 - ما من شك أن هذه الامكانية الواسعة للاشتقاق فيها فوائد كثيرة، و لكنها من جهة أخرى لا تخلو من مساوي، لأن العاملين في أجهزة الاعلام، من صحافيين و مترجمين و كتاب، و كل من تضطره ظروف العمل للتعبيل بتسليم انتاجه في أجل محدد باليوم، و أحيانا بالساعة أو الدقيقة، هؤلاء جميعا كثيرا ما يركنون للحلّ الأسهل، فيحصرون أنفسهم في مادة ((جمع)) للتعبير عن العديد من المصطلحات الحضارية. و هكذا اقتصرنا على استعمال أمثال العبارات الآتية التي تحمل طابع الغموض، من نوع : جَمَعَ، جماعية، مجموعة، تَجَمَّع... و لو أنهم رجعوا الى كتب فقه اللغة لعثروا على العديد من المصطلحات الدقيقة المعبرة أحسن تعبير عن مختلف المفاهيم الحضارية، مثل فريق équipe, groupe, Communauté européenne (أوروبي) troupe. معشر رعيية Communauté religieuse. رعيية peloton de tête. طليعية Avant garde. طغمة Junta. شردمة أو زعنفة Gang. عشيرة Clan قبيلة tribu. فصيلة faction. نخبة élite. ثلثة groupe restreint. هيئة collège مصابة bande. جمهور public. حشد foule. حفل assistance, الخ.

2 - من الملاحظ أيضا أن هناك اتجاها الى احياء بعض الأوزان النادرة الاستعمال مثل ((أفعول))، في قولك : أغرورقت عينا larmoyer و أخضضرت و أعشوشبت الطبيعة verdoyer, verdir... و كذلك وزن ((أفعلل))، في قولك اطمان، اشمأز،

أقشعر، اضمحل.

3 - من المعروف أن الوزنين (أفعل) و (فعل) يشتركان في تحويل الفعل اللازم إلى متعبد، ويدلآن على التسبب في وقوع الحدث، علما بأن (فعل) ينفرد بالدلال على المبالغة والاكثار... ولكن وزن (فعل)، عندما يتساوى في المعنى مع (أفعل)، قد أصبح مفضلا (يبلغ الخير، باللام المشددة، مفضل على : يبلغ كما أن وزن (فعل) يستعمل أحيانا لأفادة معنى خاص (صلح السيارة، تصليح السيارة réparer, réparation reforme في حين أن ((أصلح)) يستعمل في سياق آخر (إصلاح التعليق reforme de l'enseignement).

4 - و أخيرا من الملاحظ في العربية الحديثة تحويل معنى الألفاظ الثلاثية إلى أفعال رباعية. و من بينها : علمن laiciser، قولب calquer, mouler، مركز centrer وقد أصبحنا اليوم نسمع على أمواج الاذاعة أمثال العبارات الآتية :
عصرن moderniser، غربيّ occcidentaliser، عقلن rationaliser
شخصن personnaliser، فترّدن individualiser
ثانيا : اشتقاق المصدر :

ان العربية الحديثة كثيرة الاستعمال للمصادر المشتقة من الأفعال، وخاصة في مجال العلوم و التقنيات. من ذلك مثلا :
- مصدر التفعيل : التشخيص diagnostic، التشرريح dissection, autopsie، التعقيم stérilisation.
- مصدر الاستفعال (في بعض الحالات المرضية) : الاستسقاء hydropisie، أي الرغبة المرضية في الشرب، الاستقراء (في الفلسفة) : induction الاستبطان (في علم النفس) : introspection، الاستغلال usufruit والاستثمار exploitation و الاستهلاك amortissement, consommation (في الحقوق و الاقتصاد).

- مصدر الافتعال : الاحتكار monopole
- مصدر المفاعلة : المقاطعة boycott
- مصدر التفعّل : التطور évolution

و يستفاد من دراسة احصائية قام بها فانسان مونتيل V. Monteil حول تردّد المصادر (وقد تناولت 1300 كلمة). أن مصادر التفعيل هي أكثرها ترددا (35 مرة)، ومعظمها يطابق الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية المنتهية بـ tion مثل : تأميم nationalisation، تأيين ionisation، تخطيط planification هذا مع وجود حالات شاذة، مثل : تفصيل détail، تقرير rapport، تكرير raffinage، تعلیم enseignement... وتأتي بعدها مصادر التفعّل (24 مرة) مثل التخلف Sous-développement و التوتر tension... ثم تأتي مصادر الفعال و المفاعلة، علما بأن الأولى منها قليلة العدد، مثل حصار siège، شعار slogan صراع conflit، إذا ما قورنت بالثانية، و هي كثيرة، مثل : مؤامرة complot مبادرة initiative مباراة match, compétition، مسابقة concours مناورة manoeuvre... ثم تأتي في نفس الرتبة العديدة مصادر الافعال، بكسر الهمزة

(19 مرة)، مثل: الإدراك perception والاضراب grève، و الإشعاع rayonnement وكذلك مصادر الافتعال (19 مرة أيضا)، مثل: الاشتراك abonnement والاشتباك accrochage ثم تأتي مصادر الاستفعال (16 مرة)، ومن بينها: الاستفتاء référendum و pléiscite والاستملاك expropriation والاستبداد despotisme... ثم تأتي مصادر التفاعل (تسع مرات)، مثل التعاون coopération وللتعارض opposition والتصادم collision ثم تأتي في الأخير مصادر الانفعال (خمس مرات)، مثل: الانحراف écart والانحطاط décadence والانهيار partialité. ولا بد من الإشارة الى أن دراسة مونتييل هذه جرت في الخمسينات. ولذا، فمن الممكن أن تسفر دراسة أخرى أحدث منها عن نتائج تخالفها.

ثالثا : تخصص الأوزان المستعملة في الاشتقاق :

1 - الأوزان الدالة على الأشياء غير العاقلة هي التالية :

- - وزن مفعول (مفردا)، مثل : منشـور tract و مشروع projet و مردود rendement... (وجمعا) مثل : محروقات combustibles, carburants منتوجات produits مطبوعات publications.
- - وزن مُفَعَّل (بالميم المضمومة و العين المفتوحة)، مثل: مخيـم campement و مؤسـسة établissement.
- - وزن مُفَعِّل (بالميم المضمومة و العين المكسورة المشددة) مثل : مكتـف condensateur و محوّل transformateur ومدّـة contre-torpilleur.
- - وزن مُفَعَّل (بالميم المضمومة و العين المفتوحة) مثل : معجـم glossaire
- - وزن مُفَعِّل (بالميم المضمومة والعين المكسورة) مثل : مجهـر microscope
- ب - الأوزان الدالة على المكان هي التالية :
- - وزن مُفَتَّعَل (بالميم المضمومة و العين المفتوحة)، مثل : مؤتمـر congrès مختبر laboratoire مجتمـع société.
- - وزن مُفَعَّل (بالميم المفتوحة و العين المفتوحة في أكثر الأحيان و المكسورة في بعض الأحيان)، مثل : متحف musée، مسار trajectoire، مطار aéroport، معرض foire و مجلس conseil.
- - وزن مُفَعَّلَة (بالميم المكسورة و العين المفتوحة)، و هذا الوزن قليل الاستعمال، و من الأمثلة على ذلك : منطقة، علما بأن بعض المذيعين في الراديو و التلفزة ينطقون بها بالميم المفتوحة و الطاء المكسورة. و يبدو أن الصيغة الأولى أصح.
- - وزن مُفَعَّلَة (بالميم و العين المفتوحتين)، للدلالة على الأماكن التي تكثر فيها النباتات و الحيوانات و المعادن، مثل : مقطنـة plantation de coton.

رابعا : اشتقاق نعوت النسبة :

نعوت النسبة في العربية القديمة محدودة النطاق، و هي منحصرة في النسبة الى القبيلة (تيمي) أو البلد (حجازي) أو المدينة (بغدادى). و قد كثر استعمالها اليوم بسبب الحاجة الماسة. و تكون النسبة في معظم الأحيان باضافة الياء الى المفرد، بعد حذف تاء التأنيث ان وجدت، مثل : رئاسي. و قد تضاف الياء الى الجمع مثـل: عقائـدي idéologique، ذرائعي pragmatique، جزائري algérien

و ان كان بعض المتزمتين ينكرون هذه الصيغة أيما انكار، و من هنا نشأ الجدل الذي لا يزال محتدما حول العبارة الكثيرة الدوران في قنوات الاذاعة و التلفزة، و على السنة الساسة و الخطباء، و نعني بها (دولي international) : هل ننطق بها بفتح الدال (وحينئذ تلتبس مع النسبة الى الدولة étatique ، فلا ندري أي منهما المقصود)، أم ننطق بها بالدال المضمومة (و حينئذ نكون قد خالفنا القياس الذي يقضي بأن تكون النسبة للمفرد لا للجمع) .

و هناك طريقة أخرى في النسبة، و يأتي ذلك باضافة الألف و النون و الياء، و نسمي (معدول النسب)، فنقول مثلا : نفساني (معدولا عن نفسي)، و روحاني (معدولا عن روحي) و بحراني، لسكان البحرين (معدولا عن بحري). و هذه الصيغة عظيمة الفائدة، لأنها مثلاً تمكّننا من ايجاد التسمية العربية لـ psychologue ، فنقول ، النفساني فـلان و النفسانيون، عوض العبارة المركبة : عالم النفس، و علماء النفس.

و سواء كانت النسبة بالياء، أو بالألف و النون و الياء، و سواء صحت مع المفرد، أو مع الجمع، أو هما معا، فانها تتأتى في الحالات الآتية :

■ - الأسماء الدالة على المسميات، من انسان و حيوان و جماد، مثل : انساني، فزالي حجازي.

- - المصادر : تقدمي progressiste ، انهزامي défaitiste .
- - الكلمات المعربة : سينمائي cinématographique ، استراتيجي stratégique .
- - العبارات المركبة من شقين : لاشعوري inconscient ، لانهاضي infini .
- - الكلمات المنحوتة، مثل التي نحتها ساطع الحمري في عام 1944 : عقلاني عقلاني .
- - rationaliste ، قبلاني à priori ، بعداني à posteriori .
- - الكلمات الدالة على الانتماء أو الولاء أو التحزب : ناصري . جمهوري . اشتراكي .
- - أدوات الاستثناء : غيري (من الغيرية) altruiste .

و تجدر الاشارة الى أن ياء النسبة توقع أحيانا في الالتباس. مثلا : كلمة (رياضي) تنصرف الى الرياضـة sport و الى الرياضيات mathématiques. ولذا كلمة (فني) التي يقصد بها أحيانا نظيرها الفرنسي artistique أو نظيرها الآخر technique على أن هذا الاشكال (بالنسبة للمثال الثاني) أخذ في الأعوام الأخيرة يزول بسبب تخصص كلمة (فني) للدلالة على المعنى الأول، و كلمة (تقني) للدلالة على المعنى الثاني.

خامسا : اشتقاق الأسماء الدالة على التجريد abstraction

و يتأتى ذلك بياء النسبة، مضافا اليها تاء التأنيث. و هذه الأسماء على أنواع، اذ منها ما هو مشتق من :

- - اسم المفعول : مسؤوليَّة responsabilité . مشروعية légitimité .
- - أَفْعُلُ التفضيل : أغلبية majorité . أقلية minorité .
- - أدوات الاستفهام : ماهية nature, identité . كمية quantité .
- - كيفية modalité .

■ - عبارات مركبة : لا نهائية infinité . لا ديني irrélégiosité
لامركزيية décentralisation .

■ - كلمات دالة على معنى تجريدي. وهذا النوع من الكلمات أوفر عددا من الأنواع الأخرى السابقة الذكر، و تطابق في الفرنسية الكلمات المنتهية بـ tة ، مثل : شخصية personnalité . شعبية popularité ... أو المنتهية بـ isme ، مثل : أنانية égoisme . ماركسيية marxisme . رأسمالية capitalisme . ولكن هذا لا يعني اطلاقا أن الكلمات الفرنسية المنتهية بـ tة أو isme تصاغ في العربية دائما بواسطة ياء النسبة المقترنة بتاء التانيث، اذ هناك طرائق أخرى يستعان بها مثل :

- المصدر : الحي neutralisme . الاستشراق orientalisme . التنويم hypnotisme .
- الصيغة المركبة : حب السلم pacifisme . الروح الانهزامية défaitisme .

و على العكس من هذا ، نجد أحيانا أن الكلمات المنتهية بـ (ية) في العربية لا تقابلها في الفرنسية كلمات منتهية بـ tة أو isme . مثل : جمهوريية république
عملية opération . ميزانية budget... كما أن صيغة النسبة هذه تستعمل فصي العربية الحديثة اسم جمع، مثل : مدفعيية artillerie . بحرية marine
اطفائيية pompiers ... وهناك ملاحظة أخرى، وهي أن الاستعمال العربي أخذ يميز بين الكلمات المنتهية بـ (يا) و (ياء) حالة كونها أسماء، مثل افريقيا، بيولوجيا، فيزياء... و حالة كونها نعتا، و حينئذ تتحول أواخر الكلم فيها الى (ية)، فتقول مثلا : الوحدة الافريقية . المسألة البيولوجية . الظاهرة الفيزيائية... و أخيرا، لا بد من الإشارة الى أن ياء النسبة، مضافا اليها الألف و التاء، أصبحت من الأدوات المعتمدة لوضع الأسماء الدالة على العلوم مثل : الرياضيات mathématiques الاحصائيات statistiques . الاعلاميات informatique . الخ...

لا أريد أن أختتم هذا البحث من غير أن أتوء بالمنهج الذي أختطه الدكتور الكواكبي منذ الثلاثينات، حينما أكد على ضرورة الاستفادة من كل ما تتمتع به لغة الضاد من امكانات، و بالأخص الأوزان التي يمكن أن نضع على منوالها المئات من المصطلحات . و يقول الكواكبي بأن ((القياس واسع الحدود، و لا يقبل الحصر)) . و يذهب الى أبعد من هذا، اذ يرى بأنه ((يصح القياس حتى على الشاذ، لأن الكلمات التي تسقى (شاذة) انما نطق بها انسان عربي صميم العروبة . فما المانع من الرجوع اليها ؟)) (ص 6، من كتابه : مصطلحات علمية) .

و يجد القارئ فيما يلي خلاصة لهذه الأوزان المفيدة في وضع المصطلحات :

1 (وزن (فعل) : يدل على بعض العلل، مثل : رم conjonctivité
صمم surdité . ظم ménorragie . نزف hémorragie
نم fourmillement . نصب surmenage ، الخ ...

2 (وزن (مفعلة)، و يدل في العربية القديمة على المكان الذي تكثر فيه الأعيان و النبات و الجماد . ولكنه في نفس الوقت يدل على الغالطية، أي الذي يفعل . فهو

ان وزن يملح لوضع مصطلحات لأسماء الآلات. فكلمة (مفخرة) تعني : الذي يدعو للفخر. و (مثلبة) : الذي يدعو للعيب. و بالقياس عليهما نضع : مخرمة —————
anesthésique . منبذة centrifugeur . مخرمة —————
conculant . مخرمة —————
écrémense .

3 (وزن (فعلان)، و يدل على الاضطراب و الحركة، مثل : هيجان، سيجان، فيجسان، طيران... و بالقياس على هذه الكلمات نضع : نبط —————
centrifuge . نبطان —————
pulsation . نبطان —————
ondulation . موجان —————
epistaxis . ريفان —————
centripète . ريفان —————
4 (وزن (فعلالة)، و يدل على بقايا الأشياء، أو رديتها. و من الأمثلة على ذلك : نشارة أي ما يسقط في نشر الخشب. مشاشة، أي رأس العظم الممكن مضغه... و بالقياس عليهما نقول : ركام —————
conglomérat . نشارة —————
dispersat .

5 (وزن (فعلال)، و يدل على داء أو مرض أو طاريء غير طبيعي. و من الأمثلة على ذلك : هزال، و هو نقيض السمن. زكام، و هو علة معروفة... و بالقياس عليهما نقول : شهاق —————
coqueluche . دم —————
maladie du testicule . خساء —————
furonculose . خساء —————
maladie du rein . زراق —————
maladie bleue .

6 (وزن (فعلول)، و هو يدل على القابلية. و من الأمثلة على ذلك : شروب، أي قاب —————
للشرب —————
potable . رعوش، أي به قابلية و استعداد للارتعاش و الرجفة... و بالقياس عليهما نقول : لصوق —————
adhésif . لحوم —————
carnivore . خشور —————
coagulable . ضفوط —————
compressible . هضموم —————
digestible . نفوذ —————
perméable . ضرود —————
conisable... و من هذه المفردات يشتق وزن (فعلولية) للدلالة على الحالة، فنقول : لصوقة، خشورية، نفوذية، شرودية، الخ...

7 (وزن (مفعول)، و يدل على ألم أو داء يشتكى منه في العضو المسمى به في الغالب و من الأمثلة على ذلك : مدموغ، أي المصاب في دماغه. مكور أي من أصاب الخائن كمرته. مزكزم، أي المصاب بالزكام... و بالقياس، نقول : مزهور، أي المصاب بالزهري (سيغليسي) —————
luétique . مسكور، أي المصاب بداء السكر —————
diabétique . 8 (وزن (فعللّ) و (فعللّم) و (فعللّم)، و يدل على المبالغة في حالة مقصودة بعينها: و من الأمثلة على ذلك : شبرم، أي قصير جدا قصر الشبر. سرطم، أي أكل كثير السرط أو البلع فيلم، أي رجل عظيم الجثة كالفيل، و بالقياس على هذه الأمثلة نقول : خف —————
vert foncé . صف —————
jaune foncé .

9 (وزن (فعللّن) ما جاء من كلام العرب على هذا الوزن يدل على حالة بعينها. و النون زائدة. مثلا : رعشن الجبان، أي كان به ارتعاش... و بالقياس على هذا الوزن يمكن اشتقاق المصطلحات، سواء كانت في صيغة الفعل مثل : حموض —————
acidifier . أو صيغة المصدر، مثل : حمضنة —————
acidification . تشحمن الدم —————
lipémie . تبولن الدم —————
urémie . أو صيغة اسم الفاعل، مثل مدمومون —————
hématogène... و يبدو لي أن وزن (فعللن) يمكن أن يحل مشكلة أميت نظمس —————
المجمعين، و مهرة المترجمين، و أعني بها كلمة modulation التي وردت القواميس المزدوجة اللغة العديد من ((المصطلحات)) من أجلها، و هي : تغيير، ترميم، تعديل، تضمين، تشكيل، و هي كلها في نظري لا تفي بالغرض، بل تترك في النفس شعورا بعدم الارتياح، و عدم الدقة. و الذي أراء أن كلمة ((تعديل)) أقربها الى الصحة، لو لا أنها تطلق اليوم على المعنى المستفاد هي المصطلحين الفرنسيين —————

amendement , modification . ولهذا فلا أرى مخرج لهذا المشكل سوى باشتقاق مصطلح جديد هو : عدلن، يعدلن، عدلنة، فهو معدلن وذاك معدلن. ان هذا المعنى المولد كان معروفا لدى النحاة، لأن العدل عندهم هو العدول عن صيغة مستكرهة الى صيغة أخرى مستملحة. فكلمة (عمر) مثلا، معدولة عن (عامر) ومن أسباب العدول (أو العدول) أيضا، افادة معنى فرعي زائد عن المعنى الأصلي. فكلمة (روحاني) معدولة عن (روحي). فالروحاني شيء قريب من الروح ولكنه ليس روحيا، لأن الروحي صفة للجوهر. أما الروحاني فهو صفة للصورة المشتقة من الجوهر.

و بعد... أرى لزاما على نفسي، في خاتمة هذا المطاف، أن أبدي ملاحظتين: أولا : لا يزال الغموض يكتنف بعض المصطلحات التقنية، لأنها، عوض أن تكون علامات لغوية (تنوب عن الشيء وتغني عن احضاره الى مرأى العين، كما يقول ابن جني)، فهي مجرد اشارات، لأنها أحيانا لا تحيل الى الماهية، بل تحيل الى المصطلح الأجنبي الذي يحيلك الى الماهية. و الفرق بين العلامة signe و الإشارة signal واضح من حيث أن العلامة تنوب عن الشيء وتغني عن احضاره. أما الإشارة، فقد تنوب عن الشيء ولكنها لا تغني عن احضاره اذا حصل سوء تفاهم، وكثيرا ما يحصل في لغة الاشارات. وهنا تطرح مشكلة ((جوانب الدقة و الغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث)) وهي المشكلة التي تناولها المهندس المجمعى الدكتور وجيه السمان، في المؤتمر الثاني للتعريب (الجزائر، ديسمبر 1973).

ثانيا : كثيرا ما تترقع المجامع اللغوية عن لغة الامة، و بذلك أهملت ما يسمى فصي السانيات ((الوضع الشعبي)). فالشعب يقول (وقية allumette و (ضوايئة torche électrique)، و (سبلة، من السبت، و هو الجلد المدهبوغ ceinture و هذه العبارات الشعبية أفصح عندي من العبارات المجمعية القاموسية : (عود ثقاب، مصباح الجيب، حزام). و أذهب الى أبعد من هذا لأقول بأن اللهجات المحلية يمكن أن تكون من أحسن الروافد للغة في تحايلها لأداء المعاني الجديدة، لأن هذه اللهجات، كلغة الربر مثلا، رسبت في أعماقها بعض الدرر الثمينة التي اختفت أو تنوشت في الفصحى الحديثة. و قد وضعت منها قائمة طويلة، و من الأمثلة عنها : جعالة (شاجالت، باللفظ البربري)، أي الرشوة... خريطة (شاخريط)، أي شيء كالكيس يضم على مافيه، و المقصود به محفظة النقود... فطيس (أفطيس)، أي المطرقة الكبيرة... شريحة (شاخريحت)، أي قطعة اللحم... نعي (النأي)، أي الاخبار بالموت... مقل (ايموقل)، أي نظير، و منه العقلة... مد (أزقن أومد، أي نصف المد، و هو نوع من المكاييل)، الخ...

و كذا الأمر بالنسبة لترقع بعض المجمعيين من لغة الصحافيين و المترجمين، ان يتحدثون عنها بشيء من الأزدراء، و يسمونها ((لغة جرائد)). و نحن لا نذهب هذا المذهب في احتقار نمط من التعبير أصبحنا له مدينين بكثير من الصيغ النافعة فصي حياتنا اليومية، بل في نشاطنا الفكري أيضا، و ينبغي أن نقرأ للصحافي و المترجم بمففة أصبحت اليوم نادرة عند المهتمين بالقضايا اللغوية، و هي الجراءة : فلئن كان بعض اللغويين و الأدباء المتزمتين يضحون بالفكرة اذا لم يعثروا لها على الكلمة المناسبة فالصحافي الحق، و المترجم المقتدر لا يضحيان بالفكرة أبدا، لأن الفكرة هي العمدة، و اللفظة هي الفضلة. و هكذا يظل كل واحد منهما يراود الفكرة و يحاول أن يحدد بها من

كل جانب، الى أن يقع على الضالة المنشودة، و بذلك فمساهمتها في اثناء لغة الضاد تستحق كل التقدير... على أنه من الانصاف أن نقول بأن معظم المجمعيين أصبحوا اليوم لا يترقبون عن العمل الصحافي، و يشاركون مشاركة فعالة في حركة الترجمة، و بذلك أخذوا يعملون على ربط اللغة بمبادئ الحياة، و في هذا الربط يكمن الحل الجذري لمشكلة ايجاد المصطلحات العلمية و التقنية.